

## الإخوان.. من عفو السادات إلى الهرولة لتسييس الحج

الجماعة حوّلت مناسبة الحج إلى فرصة لتنظيم مواكب البيعة



الإخوان يستقبلون في كل مكان

الخرابوي يقول إنه «جرى تنصيب عمر التلمساني ليكون المرشد العام في موسم الحج للعام 1976 وأن إخوان التنظيم الدولي أبدوا الموافقة عليه في موسم الحج، مشيراً إلى أنه أصبح من منافع الحج عند الإخوان تنصيب المرشد.

**التقارب بين السادات والإخوان كان له دور كبير في الإفراج عن القيادات الإخوانية التي وضعها الراحل جمال عبدالناصر في السجون**

وكان التلمساني قد كشف في كتابه «كبريات لا منكرات» عن جوانب خفية من علاقته بالملكة العربية السعودية، ومن ذلك قوله «ومرة كنت أؤدي فريضة الحج وفي جدة قابلني الأخ (م.ص) وما يزال حيا أطال الله في حياته وقال: إن كبريا يريد مقابلتي ليس من الأسرة السعودية وإن كان له بها صلة، فرحبت مؤصلا في خير للدعوة، وتحدد الميعاد وذهبت قبل الميعاد بخمس دقائق، وهي عادتني في كل مواعيدي».

ويضيف «حل الميعاد واستدعي الكبير سكرتيه ودعاني للدخول فوجدت أحد أبناء المرحوم الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود موجودا معه... وجلس الكبير يتحدث عن الدعوة الإسلامية ثم عرج على (مجلة الدعوة) وكانت لم تصدر بعد، وقال إنه يريد تدعيمها، فادركت هدفاً وقلت له مقاطعا: سيادتكم طلبتم مقابلتي كداعية لا كجانب، ولو كنت أعلم أنك ستحدث معي في مسألة نقود كنت أعتذر عن المقابلة، ولذلك أرجو أن تسمح لي بالانصراف، فتلقي الرجل هذه الغضبية في هدوء وقال: لم أقصد ما ذهبت إليه ولكني كمتسلم أردت تدعيم عمل إسلامي»، وقال في حوار مطول مع مجلة «المصور» المصرية في العام 1982 «استدعاني كمال أدهم شقيق زوجة الملك فيصل لمقابلته عندما كنت أؤدي فريضة الحج عام 1975 وعرض علي دعما ماليا وقلت له: أسف... لقد ظننت أنك دعوتني كداعية إسلامي... السلام عليكم وتركته... فخرج ورائي حتى المصعد».

ونقل عنه مؤرخ الإخوان محمد عبدالحليم حامد في كتابه «مواقف من حياة المرشدين»، قوله «طلبت الملكة العربية السعودية مني عن طريق المرحوم عمر نصيف أن أعمل قاضيا بنجد لما تعرفه عن جدي رحمه الله وصلته بالذهب الوهابي، فاعتذرت لأنني لا أفضل على مصر مكانا أقدم فيه، أو أعمل به مهما لاقيت فيها من عنق».

الإرشاد» الأخير قبل الصدام عام 1954، كما رفض الإخوان المصريون بالخليج وأصدروا بيانا بعنوان (المرشد السري المجهول يقود الجماعة إلى المهول). كان مؤتمر الإخوان في البقاع المقدسة في موسم الحج للعام 1973 قد شهد مواكب لتقبل البيعة من خلال استقطاب عناصر جديدة من دول بدأت خلالها الجماعة تتشكل فيها، ومنها تونس، حيث يذكر عبدالله عمادي في كتابه «تنظيمات الإرهاب في العالم الإسلامي، نموذج النهضة» أن المؤتمر الأول للجماعة الإسلامية التي اتخذت لنفسها لاحقا تسمية الاتجاه الإسلامي قبل أن تتبنى الحركة تسمية «النهضة»، بعد 7 نوفمبر 1987 حسم أمره بأن قرر أن الحركة الإسلامية بتونس هي تعبير محلي عن التيار العالمي للإخوان المسلمين وكلف المكتب التنفيذي الذي سبتمخض عن المؤتمر بإتسام تراتيب البيعة للمرشد العام للإخوان المسلمين.

## فرصة للانتشار

تنفيذا لهذه التوصية تشكل وفد برئاسة أحمدية النيفر وسافر إلى مكة حيث انعقد المؤتمر العالمي للإخوان المسلمين بمناسبة موسم الحج لسنة 1973 وهناك تقدم أعضاء الوفد بين يدي حسن الهضيبي، المرشد العام للإخوان، وأعطوه البيعة في نصها التقليدي المتعارف عليه في النظام الأساسي للإخوان بعد وضع اليد على المصحف الشريف «أعاهد الله العظيم على القيام بشروط عضوية الإخوان المسلمين وأوجباتها والسمع والطاعة لقيادتها في المنتسب والمكره في غير معصية ما استطعت إلى ذلك سبيلا وأباعد على ذلك والله على ما أقول وكيل».

ومع تأسيس التنظيم العالمي لجماعة الإخوان المسلمين رسميا سنة 1982 على يد المرشد الخامس للجماعة مصطفى مشهور، انخرطت حركة الاتجاه الإسلامي عضوا ناشطا في التنظيم يمثلها أميرها الشيخ راشد الغنوشي. واضطلع الغنوشي بدور محوري في أوروبا والمغرب العربي لصالح التنظيم الدولي للإخوان المسلمين، والذي بدأ بشكل مبكر منذ بدايات نشأة الحركة الإسلامية في تونس، حتى أن الشيخ عبدالكريم طميط الحمداوي، مؤسس الحركة الإسلامية بالمغرب الأقصى اتهم الغنوشي «بالعمل على اختراق الحركة الإسلامية في المغرب بتكليف من جماعة الإخوان المسلمين نهاية السبعينات، من القرن الماضي والتجسس لمؤسسة التنظيم العالمي للجماعة»، على حد قوله.

لقد تحول موسم الحج إلى مناسبة لعقد اجتماعات الإخوان، حتى أن القيادي المشفق عن الجماعة ثروت

والإعلامية، وهو ما تنبّه له الإخوان جيدا فعمدوا إلى إرسال أعداد كبيرة من كوادرهم المؤهلة في تلك المجالات، وعلى رأسها التربوية والتعليمية، وبدأ الإخوان بتشكيل خلاياهم الحركية والتنظيمية في كل مكان وجدا أنفسهم فيه.

ولعل أبرز المجالات التي تم اقتحامها المحاضرات التربوية من مدارس ومعاهد وجامعات، مستغلين غض طرف السلطات عنهم، وحال قبول المجتمع المنديين بطبيعته لمضامين خطابهم الوعظي الإرشادي، فكان للكثير من قاداتهم دور كبير في تاليف المناهج الدراسية وبرز في هذا المجال مناع القطان ومحمد قطب وغيرهما.

وكان من أهداف مؤتمر الإخوان في حج 1973 إعادة تشكيل مجلس شورى الجماعة وتكوين لجنة إعادة بناء هيكل الجماعة، وتحدث أبو العلا ماضي القيادي السابق في جماعة الإخوان، عن تلك المرحلة بالقول «حاول الإخوان إعادة تنظيم أنفسهم، وبالطبع كان الوضع في الداخل (داخل مصر) مهلهلا وضعيفا للضربات العنيفة التي وُجّهت للجماعة، ولكن كانت هناك تجمعات إخوانية بالخارج نجحت في الهرب خارج مصر، خاصة في دول الخليج، حيث تشكلت لجان لإعادة إحياء الجماعة في هذه الدول، ومنها ثلاث لجان في السعودية، في الرياض والدمام وجدة، ولجان الكويت والإمارات وقطر، وسافر المرشد المستشار حسن الهضيبي لموسم الحج عام 1973، والتقى هناك بعدد كبير من الإخوان من دول عدة وانتقوا على إعادة تنظيم الجماعة، لكن القدر لم يهلل المستشار حسن الهضيبي ففوت في 11 أغسطس 1973».

ويضيف «هنا اتضح أن رموز النظام الخاص كانوا جاهزين للسيطرة على الجماعة»، وتوضّح بعد ذلك من المعلومات أنهم بدأوا في تنظيم أنفسهم داخل السجن في نهاية عهد عبدالناصر بالتعاون والتنسيق بينهم وبين رموز تنظيم عام 1965، وبدؤوا العمل في تنظيم الجماعة وضم العناصر الجديدة واختاروا مرشدا سريا من رجال النظام الخاص (بين روايتين واحدة تقول إنه المهندس حلمي عبدالمجيد نائب عثمان أحمد عثمان في شركة «المقاولون العرب»، وثانية تقول إنه الشيخ زكي من حلوان)، وطلبوا من الإخوان البيعة للمرشد السري، فرفض كثير من الإخوان بالداخل وبالطبع منهم فريد عبدالحق والشيخ صالح ابورقيق وعدد كبير من أعضاء «مكتب

ان يفرج عنه في 15 أكتوبر 1971. عندما غادر الهضيبي السجن، كانت هناك أشياء تتغير في مصر والمنطقة، لسادات يحاول الاستعانة بالإخوان لضرب مراكز النفوذ، والغرب يسعى إلى نشر صحوة دينية ببلاد المسلمين في مواجهة المد الشيوعي.

## الحج لترويج فكر الجماعة

للقضاء على التيارات القومية التي كانت لا تزال تعرف اتساعا في عواصم عربية عدة رغم وفاة عبدالناصر، كما كانت دول الخليج الناشئة بعد رفع الوصاية البريطانية في عام 1971 مفتوحة لعناصر الإخوان، ولم يجد الإخوان أفضل من الحج لترويج فكر الجماعة.

ويقول الإخواني الكويتي الدكتور عبدالله النفيسي في كتابه «الفكر الحركي للتيارات الإسلامية» إن المرشد الثالث لجماعة الإخوان حسن الهضيبي «انتهم فرصة الحج عام 1973 فعقد أول اجتماع موسع للإخوان في مكة المكرمة وكان هذا الاجتماع هو الأول من نوعه منذ محنة 1954، ونظرا لأن معظم الإخوان في الخارج قد هاجروا إلى منطقة الخليج والجزيرة العربية أو البلاد الأوروبية والأميركية فقد تركز عمل لجنة العضوية في تلك المناطق؛ فتشكلت لجنة الكويت، ولجنة قطر، ولجنة الإمارات، وثلاث لجان للسعودية في الرياض، وفي الدمام، وفي جدة».

وكان من نتيجة تلك الاجتماعات استيعاب الملكة للمزيد من الإخوان المسلمين. وشهدت السعودية في منتصف السبعينات حركة نهضة واسعة بقيادة الملك فيصل كان من نتائجها انفتاح الملكة واستيعابها لمئات الآلاف من الكوادر المؤهلة والمتخصصة في كل المجالات العلمية والصحية والهندسية

كان رهان الإخوان على تسييس الحج جزءا أصيلا من عقيدتهم، نظرا لما تمثله المناسبة الدينية من فرصة استثنائية للقاء وفود قادمة من عشرات الدول الإسلامية، بل وحتى من الدول غير الإسلامية التي لم تدخر الجماعة جهدا لاخترافها من خلال الجاليات الإسلامية، لذلك شهد موسم الحج عام 1973 مؤتمرا عالميا للإخوان في البقاع المقدسة كان له أثره البالغ في مسيرة الجماعة خلال السنوات الموالية.

في السجون، وأعطى التعليمات بإعادة الجنسية المصرية لمن سحبت منهم في عهد عبدالناصر ومنهم الدكتور سالم نجم الذي حصل على الجنسية العراقية والذي أعيد إلى عمله كاستاذ في كلية طب الأزهر، وفي هذا السياق، قال المرشد العام الرابع للجماعة محمد حامد أبوالنصر «في عام 1970 أمر السادات بالإفراج عنا حيث تم تحريكنا على دفعات إلى سجن مزعومة طرة، توطئة للإفراج عنا، وهذا السجن، كانت حجراته واسعة، تسع أكثر من عشرين سجينا، وكانت المعاملة لا بأس بها وفي هذا السجن تم لقاء بين مجموعة من ضباط المخابرات وبين جميع الإخوان المسلمين المسجونين في هذا السجن، وكان لقاء أشبه بالحوار المفتوح بين الإخوان، وضباط المباحث، فقد عرض الإخوان أفكارهم وادافعوا عن دعوتهم وجماعتهم بصراحة ووضوح، ولم يجعلوا من أسوار السجن حائلا دون توضيح موقفهم، وشرح رسالتهم من يوم أن أسست جماعتهم، وأنهم سيظلون حاملين راية الإسلام، ويدافعون عنها، ويمحونها باكرم ما يملكون من أعر المهج والأرواح، وكان هذا الوضوح والبيان دون لف أو دوران محل إعجاب واستغراب ضباط المباحث وغرابتهم وانتهى اللقاء، وبدأ الإفراج عنا على دفعات باوامر من السادات الذي كان مقتنعا بقضيتنا ونبل غايتنا».

الحبيب الأسود  
كاتب تونسي

بعد وفاة الزعيم المصري جمال عبدالناصر في سبتمبر 1970 قاد الرئيس أنور السادات انقلابا ناعما على إرث سلفه مستهدفا ما سمي بمراكز النفوذ المتمثلة في الناصريين واليساريين. ومن بين مؤشرات ذلك الانقلاب الإفراج عن عناصر الإخوان من السجون، والذي جاء بعد لقاء في استراحة الرئاسة بالإسكندرية في صيف 1971.

تم اللقاء بترتيب مع العاهل السعودي الملك فيصل بن عبدالعزيز، وجمع بين السادات وعدد من قادة الجماعة في الخارج من بينهم سعيد رمضان، زوج ابنة حسن البنا ورئيس المنظمة الإسلامية في جنيف التي كانت ترعاها السعودية.

**شهد موسم الحج عام 1973 مؤتمرا عالميا للإخوان في البقاع المقدسة كان له أثره البالغ في مسيرة الجماعة خلال السنوات الموالية**

وقد تحدث المؤرخ الدكتور عبدالعظيم رمضان عن هذا اللقاء مشيراً إلى أن السادات «قال لهم إنه يواجه نفس المشاكل التي قاسوا منها، ويشاركهم أهدافهم في مقاومة الإحاديث والشيوعية، وعرض عليهم استعداده لتسهيل عودتهم إلى النشاط العلني في مصر» وبالفعل قام السادات بالإفراج عن السادات جماعة الإخوان المسلمين.

## أدوار السادات

تحدث الكاتب المصري اللواء حمدي البطران عن تلك الفترة بالقول إنه «في أول نوفمبر 1970 زار القاهرة كمال أدهم -المسؤول عن المخابرات السعودية ومستشار العاهل السعودي الملك فيصل آنذاك- وكانت له صلات وثيقة بالمخابرات المركزية الأميركية، وتحدث مع الرئيس السادات عن الوجود السوفييتي في المنطقة العربية، وصارحه بضرورة إحياء النزعة الإسلامية، ليقوم الرئيس السادات إثر ذلك بتكليف الإخواني الدكتور محمود جامع بالسفر إلى الخارج لمقابلة قيادات الإخوان المسلمين الهاربين ومنهم يوسف القرضاوي والدكتور أحمد العسال والمهندس عبدالرؤوف مشهور، وعبدالمنعم مشهور والدكتور سالم نجم والتحدث معهم، واستطلاع نواياهم وطماحتهم تمهيدا لعودتهم».

ويقول جامع في كتابه «عرفت السادات»، إنه نجح في التقريب بين السادات وبين جماعة الإخوان وكان له دور كبير في الإفراج عن القيادات الإخوانية التي وضعها الزعيم الراحل جمال عبدالناصر في السجون مثل صالح ابورقيق وعبدالقادر حلمي، وأنه استطاع أن يلتقي في مكة المكرمة بالتنسيق مع القيادة السعودية بقيادات إخوانية مثل يوسف القرضاوي وأحمد العسال وسالم نجم واتفق معهم على العودة إلى مصر وإعادة الجنسية المصرية إليهم ورد اعتبارهم وبالفعل عادوا وأحيوا التنظيم في مصر.

وقد بارز السادات بالإفراج عن قيادات الإخوان المعتقلين

